دَورُ الحوارِ في ترسيخِ ثقافةِ السَّلامِ

«مركزُ الملكِ عبد اللهَّ العالميُّ

للحوارِ بين أتباعِ الأديانِ والثَّقافاتِ أُنموذجًا»

فيصل بن عبد الرحمن بن مَعمَّر(*)

بسمِ اللهِّ الرحمنِ الرحيمِ

السَّلامُ عليكم ورحمةُ اللهِّ وبركاتُه.

أصحابَ الفضيلةِ، والنيافةِ، والمعالي.

إنه لشرفٌ لي أن أكونَ مع هذه الكوكبة الكريمة من الشخصيات الدينية والسياسية والثقافية المرموقة، التي اجتمعت للحديثِ عن ثقافة السَّلام، والتباحثِ في كيفية تفعيلها وتعزيزها في مجتمعاتنا.

إن السَّلام هو جوهرُ كلِّ الأديان، ومنها جاءت تحيةُ الإسلام التي أزُفُّها إليكم: «السَّلام عليكم»، وللدَّاعي لهذه المناسبة -فضيلةِ الإمامِ الأكبر شيخ الأزهر الشريف الدكتور أحمد الطيب- وافرُ الشكر والامتنان.

السَّيِّداتُ والسَّادةُ.

السَّلام مطلبُ البشرِ، وبه جاء الرسلُ عليهم السَّلام، فثَمَّ تلازمٌ أبديٌّ بين السَّلامِ ورسالاتِ الأنبياءِ التي بُنِيَت على اللُّحمةِ والإخاء بين البشرِ.

لقد عاش الإنسانُ في هذه المنطقة، والمشرقُ منذ أكثرَ من ١٤ قرنًا في فضاءٍ دينيٍّ تعدديٍّ متنوعٍ، تميَّز غالبًا بتفاعل وتعايش سلميٍّ، واغتناء متبادل بين الأطياف

كافَّةً، فكان الانتماء الديني على تعدُّد الأديان والمذاهب أسمى منابع الإلهامِ للإنسانِ؛ فمنه استمدَّ القيمَ والمبادئ الأخلاقية والإنسانيةَ.

إلا أنه من المعلوم أن المنطقة قد ابتُلِيَت بحروب مدمرة، وبصراعات سياسية، وتشريد، استُغِلَّت فيها التعاليمُ الدينيةُ قديمًا وحديثًا في أبشع صُوَرِها، وقادت إلى صداماتٍ عنيفةٍ في محطات مختلفة من التاريخِ، وذلك بفعل تحويل الانتماء الدينيِّ إلى وَقودٍ للظلم أو للاحتلال أو للتشريد أو للتهجير؛ حيث أصبح ذلك مُسوِّغًا لتفسيرِ وشرعنةِ تصرُّفاتٍ لا تَمُتُّ للدين الحق بأيِّ صلةٍ، وهي تصرُّفاتٌ تَنُمُّ عن أفكار غريبة عن ثقافاتنا وتاريخنا، وتتناقض مع تعاليم الأديان، ومنها الإسلام ، وتَنسِفُ جُسورَ التواصل، ليس فقط بين أتباع الأديان المختلفة، وإنما أيضًا بين أتباع الدين الواحدِ.

فهناك أمثله قائمة على مرِّ العصور على مخالفة ما جاء به الرسلُ، بل على استخدام بعض التعاليم الدينية لتبرير الفظائع والمذابح التي تُرتَكَبُ بحق البشر، فهناك قتلٌ للأبرياء وتشريدٌ للناس، وانتهاكٌ للحقوق، وتدميرٌ لدُورِ العبادة، بل وشنٌّ للحروب، كلُّ ذلك باسمِ الدينِ.

واسمحوا لي أن أُذكِّرَكم بواقعة أليمة حدثت قبل أسابيعَ قليلةٍ في مكان ليس بعيدًا عن مكاننا هذا، حيث طالت يدُ الغدر والإجرام مجموعةً من أبناء هذا الوطن الكريم، وهم يحتفلون بسلام وطمأنينة، وقتلت عددًا كبيرًا منهم، والمؤلمُ أن من قام بذلك العمل الإجرامي الفظيع برَّرَ جريمته باسم التعاليم الدينية السامية،

وهذه الجرائم النكراء لا تنتمي لأيِّ دينٍ، ويجب البراءةُ من هذه الأفعال الشنيعة، ومكافحةُ كلِّ أسبابها .

إن هذه الجريمة -وغيرَها من الفظائع في التاريخ الإنساني- تدفعنا لطرحِ التساؤلات، ومواجهةِ ظاهرةِ توظيفِ النصوص الدينية لتبرير العنف: كيف استطاع أولئك الأشرارُ استغلالَ التعاليم الدينية النقية لتبرير أفعالهم الإجرامية؟ إلا أن هذا السؤال على أهميته قد يُشتِّتُ انتباهنا، وينحرف باهتمامنا عن القضية الأهم؛ فهذا السؤال يُركِّزُ على الأشرار، بينما الواجب أن يكون حديثُنا عن أهميةِ الأديان ودَورِها: إن أولئك الأشرار يبررون جرائمهم بحق الإنسانية باسم الدين؛ لأنهم أشرارٌ ومجرمون، ولكن الأهم هو أن نركز على أولويةِ الأديان ودَورِها في تحقيق السَّلام؛ فالسؤال الأهم هو: كيف استطاع دُعاةُ العنف والكراهية إخفاءَ المخزون الهائل من قِيَمِ المحبة والسَّلام والرحمة في الأديان؟

ولا أدَّعي هنا معرفتي بالإجابة، ولا أزعُمُ قدرتي على الإبحار في الحديث عن الرُّؤى الفلسفية حول العَلاقة بين النص الديني والسلوك الإنساني، أو بين السَّلام والأديان، ولكني أقولُ: عندما تُسفَكُ الدماءُ البريئةُ باسم التعاليم الدينية السامية، فالقضيةُ لم تَعُد مسألةً نظريةً أو أكاديميةً، بل هي حالة مأساوية تَستدعي حلولًا عمليَّةً.

إن من مَعاقِدِ الحلول تَدارُسَ الصلةِ بين قادةِ البشرِ؛ فثَمَّ قطيعةٌ بين القادة الدينيين من جهةٍ، وصنَّاع السياسات من جهةٍ أخرىٰ في بعض المجتمعات، وهناك تقسيم للعمل بين القيادات الدينية والقيادات السياسية بشكل لا يَخدُمُ مصلحة البشرية.

لقد أصبحت قضايا الإيمان والرَّحمة والمحبَّة من شأن القياداتِ الدينيةِ، وقضايا الحرب والسَّلام من شأن صانعي السياساتِ بشكلٍ حصريٍّ، هذه القطيعةُ بين القادة الدينيين وصانعي السياسات قد خلقت نوعًا من التوجُّس والرِّيبةِ بين الطرفينِ، وأحدثت فراغًا استغلَّهُ المتطرفون لتبريرِ أعمالهم الإجراميةِ، وحشد الأتباعِ، وكلُّ ذلك باسم الدينِ.

إنني علىٰ يقين أنكم تُدركون تمامًا أن المتطرفين عندما يُبرِّرُون أعمالهم الشريرة باسم الدين، فهم لا يَسعَونَ للدفاع عن الدين، بل لخدمة أهدافهم السياسية فحَسبُ؛ فالدين بالنسبة لهؤلاء مجرَّدُ أداةٍ لتبرير قتل الأبرياء، وتدمير الممتلكات، وبثِّ الرعب بين المدنيين؛ للتعبير عن مواقفَ سياسيةٍ، فهم لا يَرَون في التعاليم الدينية إلا احتكارًا للحقيقة المطلقة، والتوجُّسَ من المختلِفِ دينيًا وطائفيًّا؛ لتحقيق مكاسبَ سياسيةٍ أو إيديولوجيةٍ.

لهذا السبب يتعمد أولئك الأشرارُ طمس معالمِ المحبة والرحمة والسَّلام في الأديانِ للوصول إلىٰ أهدافهم، بإشعال صدام الحضارات، واستغلال التزامنا بالدين كمصدرٍ أساسيٍّ لتشريعاتنا وأخلاقنا، واستغلالِ سيطرة الإيديولوجيا السياسيةِ، وفصلِها عن تعاليم الدينِ.

نحن في مركز الملك عبد اللهَّ بن عبد العزيز العالميِّ للحوار بين أتباع الأديان والثقافات نُدرك تمامًا التداعياتِ الخطيرةَ للقطيعة بين الدين والسياسة على السِّلمِ المجتمعيِّ، ونَعِي أن القطيعة بين القيادات الدينية وصنَّاع السياسات لا تخدُمُ إلا دُعاةَ العنف والكراهيةِ، ومن هذا المنطلق، فنحن نسعى جاهدين لبناء جسورٍ من التواصُلِ بين الطرفين من خلالِ الحوارِ.

وجهودُ المركز تقومُ على أساس مجموعة من المبادئ، أهمُّها المحافظةُ على التنوُّعِ الذي يُشكِّلُ إرثًا حضاريًّا، وميزةً ثقافيَّةً، ويعبر عن أصالة كلِّ مجتمعٍ في العالمِ، ورفضُ استغلال الدين في الصراعاتِ السياسيَّةِ، والاستيلاءِ عليه وعلى رموزِه لتوظيفها من قِبَلِ المتطرِّفين كوسيلة للتفرقة، وسببٍ للقهر والظلم والتهجير، والإيمانُ بأن كلَّ مكوِّنٍ دينيٍّ أو إثنيٍّ أو ثقافيٍّ أو لغويٍّ في المجتمعات الإنسانية هو عنصرٌ أصيلٌ متجذِّرٌ في تاريخها، ومساهمٌ في بناء حضارتها، وعاملٌ في بناء مستقبلها، بالشراكة الكاملة مع إخوانهم وأخواتهم في المواطنة، على مبدأ المساواة في الحقوق والواجبات والتعاون الحضاريِّ.

السيداتُ والسادةُ.

مركزُ الملك عبد اللهَّ بن عبد العزيز العالميُّ للحوار بين أتباع الأديان والثَّقافات هو منظمةٌ دوليةٌ، تأسست بمبادرة من المملكة العربيةِ السعوديةِ عام ٢٠١٢م؛ لإبراز رغبة أكثر من مليار وستمائة مليون مسلمٍ للحوار والتعايُش وبناء السَّلامِ، ويحظى المركزُ بدعم ورعاية خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز، انطلاقًا

من دَورِ المملكة في تعزيز التحالُف الإسلاميِّ في وجه التطرُّفِ والإرهابِ، ويعمل المركزُ من خلال مجلس أطراف يضمُّ الدول المؤسِّسة، وهي: المملكة العربية السعودية، وجمهورية النمسا، ومملكة أسبانيا، بالإضافة لدولة الفاتيكان، كعضو مؤسس بصفة مراقب، ومجلس إدارة من تسع شخصيات دينية تمثل الديانات الرئيسة في العالم؛ من مسلمين ومسيحيين ويهود وبوذيين وهندوس.

إن البنيةَ التنظيميةَ لمركزِ الملك عبد اللهَّ العالميِّ للحوارِ ليست فريدةً من نوعها في العالَمِ فقط، بل إنها تُعطي دَلالةً واضحةً وواعيةً عن رسالة المركز وطريقة عملِه؛ فرسالةُ المركز تتلخَّصُ في دفع مسيرة الحوار والتفاهم بين أتباع الأديانِ والثقافاتِ المتعددةِ، وإرساءِ قواعد العدلِ والسَّلامِ بين الأمم والشعوبِ، والتصدِّي لسوء استخدام الدِّينِ لتسويغ العنفِ والاضطهادِ.

ويؤدي المركز رسالته من خلال بناء جسورٍ من التواصل بين القادة الدينيين وصنَّاع السياسات؛ لتعزيز فُرَصِ حلِّ النزاعات التي يُستخدَمُ فيها الدين؛ فمركز الملك عبد اللهَّ العالمي للحوار ليس مكانًا للحوار العَقَديِّ بين أتباع الأديان، بل هو مِنصَّةٌ آمنةٌ تجمع القادة الدينيين وصنَّاع السياسات لتبادُلِ الآراء والخبراتِ، وتنسيق الجهود؛ لتحقيق السِّلمِ في المجتمعات، من خلال التوظيفِ الإيجابيِّ للدينِ في حلِّ النزاعاتِ.

وقد يكونُ من العسير أن أَسرُدَ لكم جميعَ جهودِ المركز في مجالِ توظيفِ الحوار لتعزيز ثقافة السَّلام، وإسهاماتِه في حل النزاعات من خلال الحوار بين القيادات

الدينية وصنَّاع السياسات، ولكني سأستعرضُ نماذجَ من جهود المركز في هذا المجال.

لقد جمع المركز بين أكثر من ٥٠ قيادةً دينيةً يمثلون ١٥ دينًا وطائفة دينية حول العالم، ونفذ ١١ شبكة وبرنامجًا في ٨ دول في آسيا وإفريقيا. ونظَّمَ -أو أسهم في تنظيم- ٢٥ مؤتمرًا في ١٠ دول حول العالم، وعقد ١٦ دورةً تدريبيةً في ١١ دولةً، و٣٧ ورشةَ عملٍ في ١٣ دولةً، كما سعى المركز إلى تعزيز قُدراتِ القيادات الشابة في مجال الحوار بين أتباع الأديان، من خلال تدريب أكثر من ٢٧٠٠ ممارس للحوار.

ولقد أولى المركز اهتمامًا بالغًا في مجال تحقيق السَّلام والتعايُش في المناطق التي تشهدُ صراعات عنيفة يُساءُ فيها استخدامُ الدين؛ حيث نظَّمَ المركز -بالشراكة مع الهيئات المحلية المهتمة بالحوار والمنظمات الدولية مثل الأمم المتحدة والاتحاد الإفريقي- عددًا من الفَعَّاليَّاتِ في كلٍّ من جمهورية إفريقيا الوسطى، وميانمار، ونيجيريا، كما نفَّذَ المركز برنامجًا عالميًّا: «متَّحدون لمناهضة العنفِ باسمِ الدِّينِ»؛ لتعزيز دَورِ القيادات الدينية في المحافظة على التنوع الديني، وتحقيق السَّلام في كلٍّ من العراق وسوريا والمنطقة العربية.

كما عمل المركز على تمكين القيادات الدينية الشابة من الإسهامِ في تحقيق المصالحات المحلية في مجتمعاتِهم، ومواجهة دَعَواتِ العنف والتطرُّف باسم الدِّينِ، وذلك من خلال برامجَ متنوعةٍ، مثل برنامج «وسائل التواصُل الاجتماعيِّ

كمساحةٍ للحوارِ»، والذي تم تنفيذُه في كلٍّ من العراقِ، والأردن، والمغرب العربي، ومصر، والخليج العربيِّ.

هذا بالإضافة إلى تأسيس «شبكة المعاهد والكليات الدينية الإسلامية والمسيحية في العالمِ العربي»، الهادفةِ إلى تعزيز قيم الحوار والتعايش والسَّلام في مناهج التعليم في المؤسسات الدينية في العالمِ العربي، ومن المأمول أن تُسهِمَ تلك الجهودُ في تعزيز دور القيادات الدينية في تحقيق السَّلام، وفتح آفاق التعاوُن بينهم وبين صانعي السياسات؛ لحلِّ النزاعات، وتحقيق الوئام بين أتباع الأديانِ، وصدِّ موجات الكراهية والعنف في المجتمعات الإنسانيةِ.

ولا أُخفيكم سرًّا أن مَهَمَّتَنا لم تكن سهلةَ التنفيذِ؛ فقد واجهنا العديد من العَقَباتِ والتحدِّيَاتِ خلال سَعينا لجمع صنَّاع السياسات والقادة الدينيين في إطار عملٍ مُوحَّدٍ؛ لمواجهة الأخطار الناجمة عن سُوء استخدام الدين في الصراعاتِ، ولقد استطعنا التغلبَ على بعض تلك العَقَباتِ، ونعملُ على التعامل مع ما تبقَّى منها لإشراك الغالبيةِ الصامتةِ في المجتمع من أنصارِ الاعتدالِ والتعايُشِ؛ لمواجهة الفئة القليلة من دُعاة التطرفِ والإرهابِ، والتي استغلَّت فوضى بعضِ المجتمعاتِ.

وختامًا، أَوَدُّ التأكيدَ لكم أنني من المتفائلين؛ فقد نُصابُ بالإحباط عندما نُشاهدُ ونسمعُ اليومَ كيف يتم استخدامُ التعاليم الدينية السامية لتبريرِ أعمالِ القتلِ والتدميرِ والكراهيةِ، وقد نشعرُ بالحزن عندما نقرأُ عن الأحداث التاريخية المأساوية التي استُخدِمَ فيها الدينُ بصورة بشعة في الأديان كافةً، إلا أن قناعتي

هي أن الخير هو الغالبُ على البشرِ، وأن أتباع الأديان جميعًا قادرون -من خلال الحوار الهادف والصادق- على التعاوُن والتكاتُف لمواجهة دَعَواتِ العنف باسم الدينِ، وردِّ الاعتبار لقيم السَّلام والتعايُش والرحمة في الحضارةِ الإنسانيةِ.

إن عقدَ هذا المؤتمر العالميِّ حول السَّلام -وغيرِه من الفعَّاليَّاتِ- هو أحدُ أسباب تفاؤلي بمستقبلٍ إنسانيٍّ أكثرَ إشراقًا وسلامًا.

شكرًا على استماعكم.

والسَّلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه.

❊ ❊ ❊